

## محدث

## مراكش: غواية المكان والحكاية

في «مراكش أسرار معلنة»، يلج ياسين عدنان وسعد سرحان في زوايا مراكش وخباياها، حيث تختلط مآثر الجوّاري الخبيرات «بعلم الكيد» بأخبار الشعراء. تاريخ أدبي للمدينة المغربية العريقة، يمزج خبرة الحواس بذاكرة الأبواب والحدائق والساحات والأسواق

## سنة الخوري

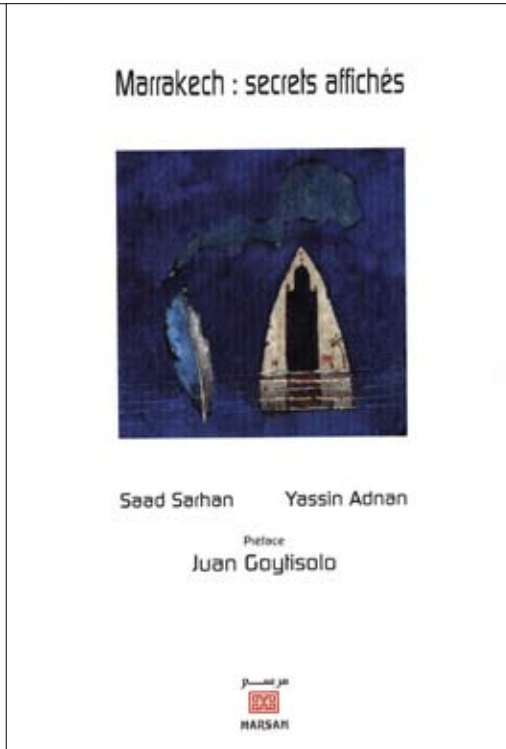
تبدو مدينة مراكش كما يكتبها ياسين عدنان وسعد سرحان أشبه بساحرة، تأسر زائرها في لعبة كشف وصد. في كتابهما المشترك «مراكش أسرار معلنة» الصادر باللغتين العربية والفرنسية (ترجمة عبد القادر هجام وحמיד جوسوس) عن دار «مرسم» في الرباط، تتحول كتابة المكان وأسلوب الوصف إلى قصيدة غزل، تختلط فيها خبرة الحواس بذاكرة الأبواب والحدائق والساحات والأسواق.

هكذا، لا تنحو الكتابة إلى تعريف السائح بمكان جمال حاضرة أفريقيا الشمالية، بل تأخذه إلى الحواس والألوان والروائح والأصوات التي تنبعث من كل عنصر يحيط بالكاتبين المراكشيين. التمرس بالمشاوير تحت أقواس المدينة، تلك الخبرة التي لا يمتلكها إلا ابن المدينة في معرفة أسماء أبوابها ودكاكينها ومزاجات سكانها، طبعت الكتابة بلهجة من الانبهار لم يتاكلها الروتين اليومي للحياة الذي قد يعيشه أي مواطن في أمكنة هي جزء من يومياته. وهذا ما لاحظته الأديب الإسباني الكبير خوان غويتيسولو في تقديمه للكتاب.

مراكش إذا غاوية مآكرة، تقدر على سجن زائرها من دون أن يشعر بسام أو ضجر. وهذا أيضاً ما لا يشعر به من يقلب صفحات الكتاب. إذ لم يقع الكاتبان في فخ رتابة الوصف والشرح، بل قاربا الموضوع كمن يخبر قصة فيها

الكثير من الإبهار والسحر، تماماً كالمدينة التي يتحدثان عنها. ومنذ البداية، لم يلعب دور الليل السياحي، بل دور الحكواتي الذي يحاول أن يجد مدخلا صحيحاً ليبدأ قصته، مسكونين بسؤال: كيف نفتح المدينة؟ هكذا، عثر الكاتبان على ضالتهما من خلال الجمع بين فن القص والتوثيق لبعض الأحداث أو الشخصيات التاريخية، فإذا بقصص الطرائف تختلط بأخبار الولاة والسلاطين، ومآثر الجوّاري الخبيرات «بعلم الكيد» بأخبار الشعراء. وذلك «الكرنفال» العجيب بدا واضحاً في وصفهما لجامع الفنا، حيث تجتمع أصوات الصلوات والابتهالات بأصوات شتائم الأطفال. عالم يعيق بضجة أليفة ومحبة، كما في السوق، حيث يجهد المار ليفلت من أصوات النساء المغربيات وهن يفاصلن البائع على ثمن الخضار.

اختصر الكاتبان كل ما يمكن للحواس أن تلتقطه في كل زاوية من زوايا المدينة، من خلال عشرة فصول/قصص تؤرخ لذاكرة المكان «واحة الحكاية البتراء»، «فخامة النخل»، «مسام المدينة»، «... وحواسها أيضاً»، «سوق الاستعارات»، «أسرار معلنة»، «مراكش بنت بغداد»، «الوصايا الصارمة»، «بازار بابل»، «... ومكتبتها أيضاً». وقد بدأها بغواية نصية استحضرا فيها كل عناصر الجذب السري، ليخرجا باستعارة جميلة جعلت من المدينة «سيريئة برية» (حورية) أسرة،



## حورية أسرة تحمل كل ألوان الأساطير

عن السلع التي يحتضنها البازار، فيكسبون لقمة عيشهم بمهارتهم في تأليف الحكايا. 150 باباً داخلياً يعبرها زائر المدينة، ولكل باب قصة ونقشة ورائحة. المتاهة ليست في دهاليز المكان بل في الجمع الغريب بين قصور الأمراء القديمة وغرف الحريم من جهة، وسهرات الشعراء ونشاطات النقابيين في تلك القصور من جهة أخرى.

تحمل كل ألوان الأساطير. من الأحمر الذي يجعل ليالي مراكش تشبه الحكايا، إلى الأخضر الذي يماثل شوارعها وشرفاتها الإسمنتية ويقيها على تماس مع أساطيرها المؤسسية. إذ إن كلمة «مركش» تعني «مرّ بسرعة» حتى لا يذبح قطاع الطرق الذين كانوا يختبئون وراء النخلة يترصون بالمارة. هكذا، صار الاسم مدينة وغدت النخلة شجرة مقدّسة. طابع المدينة يسبح في الماورائيات، طابع منحها إياه فقراؤها الذين جعلوا من الأولياء والقديسين دولتهم، يحجون إليهم في أمور الزواج والسفر والبيع والشراء. هؤلاء الفقراء أنفسهم هم صوت مراكش، يستقبلون السياح بروايات خيالية



## «ابتداء للغز»... شاعر يحدث المرأة فيرى العطر

وتُسقِّق/ التجاعيد حين تنفُض شجرة الزيتون/ يقرأ الشاعر الآن/ فتَهَيِّز/ مِسَاعِرُ الأَرْضِ القديمة التي تخلق النسيم).

في أواخر الأربعينيات، كان الشاعر الإسباني الكبير ليوبولدو لويس يسهم في إصدار مجلة «المعتمد» من مدينة العرائش ثم من تطوان. وهي المجلة التي يراها محمد بنيس المهدي لحرمة التحديث الشعري في المغرب. وما هو ابنه خورخي أوروتيا يتشبهت بصداقة المغرب. إذ يعيش موزعاً بين جامعة محمد الخامس في الرباط وجامعة نورث ويسترن في الولايات المتحدة وجامعة كارولوس الثالث في مدريد. والمؤكد أن ترجمة خالد الريبوني ديوانه ستضمن المزيد من التورط في المغرب واللغة العربية لهذا الشاعر القشتالي الذي لا يكف عن تقصي المعرفة الشعرية على جبهات الزمن والحب والكتابة.

## لمحات

## «جناحا قلبي المثقل»

تحت هذا العنوان المستعار من قصيدة للشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان، صدرت في ألمانيا مختارات شعرية باللغة الألمانية ضمت قصائد من شعر المرأة العربية منذ القرن السادس الميلادي حتى اليوم، من الشعراء العربيات الأوائل كالخنساء، حتى العصر الحديث

كفدوى طوقان، ونازك الملائكة، لميعة عباس عمارة، سنية صالح، سعاد الصباح، سعدية مفرح، دنيا ميخائيل، إيمان مرسل... اختار القاصد وقدم لها الشاعر العراقي خالد المعالي، وقد ترجمها الأخير إلى الألمانية بالتعاون مع هريبرت بيكر. يذكر أن المختارات صدرت عن دار «مانيسه»، ضمن مجموعة «راندومهاوس» وفي طبعة شعبية.

يقدم الكاتب المصري محمد العشري في روايته «خيال ساخن» («الدار العربية للعلوم» - بيروت، بالتعاون مع «منشورات الاختلاف» - الجزائر و«مكتبة مدبولي» - القاهرة) قصة حب يختلط فيها الواقع بالأسطورة. لكن نصه الذي يستفيد من المادة الثرية التي يقدمها التراث الشرقي، ليس قصة حب تقليدية بل احتفاء بقيمة الحب وقدرته على الصمود في وجه الواقع، وتماس مع الذات في رحلة بحثها عن الاكتمال.

## «عن دار الساقى»

صدرت رواية «تيتانيكات أفريقية» للروائي الأيرلندي المقيم في ليبيا أبو بكر حامد كاهال. الرواية تغوص في صميم الحياة الأيرلندية كاشفة لطبيعة العلاقات المتشابهة بين أيرتريا وجيرانها. وقد فرض كاهال حضوره الروائي بين قراء العربية من خلال بساطة مقاربه للواقع.

عن «دار ميريت» في القاهرة، صدرت «وداعاً أيتها السماء» وهي العمل الروائي الأول للكاتب حامد عبد الصمد. تدور أحداث الرواية بين مصر وألمانيا واليابان وتحكي قصة شاب مصري تعرض لأنواع عديدة من العنف الاجتماعي في بلده فهاجر إلى ألمانيا حيث انتهى به المطاف في مستشفى للأمراض العقلية. وبعد خروجه من المستشفى، يقرر السفر لليابان بحثاً عن السلام التام.

## يتناول العدد 69 (تموز/

يوليو وآب/ أغسطس) من مجلة «كتابات معاصرة» خمسة ملفّات جديدة، إضافة إلى نصوص إبداعية في القصة القصيرة والشعر. وقد جاءت افتتاحية رئيس تحريرها الشاعر الياس لحود «تحويماً في هبوط صاعد/ ذات غسق باشلاري آخر» لتحكي عن تاريخ منطقة

بيت شباب اللبنانية. أما الملف الأول، فجاء بعنوان «الكلام والآلة: الوظيفة الاجتماعية والعادة النطقية». وقد حوى ست دراسات عن هذا الموضوع. بينما تناول الملف الثاني «السيرة الذاتية» وخصّص الملف الثالث لمصطلح الأسطورة، والرابع للفلسفة الوجودية. وأخيراً خصّص الملف الخامس لنشوء المصطلح البيديعي في التراث النقدي البلاغي عند العرب.

«اليوم على بقايا سدوم» (دار نعمان للثقافة) هو عنوان ديوان أحمد أبو سليم، زينت غلافه لوحة للتشكيلي اللبناني كمال عطا الله. وقد صدر لهذا الشاعر الفلسطيني قبل اليوم «دم غريب» و«مذكرات فارس في زمن السقوط».

